

اشرنا في السابق الى طبيعة الفكر الجغرافي العربي في مرحلة ما قبل الاسلام وقارناه مع ما كان عليه الوضع بالنسبة للقارة الاوربية التي كانت تعيش بداية المرحلة المظلمة بالنسبة للفكر الجغرافي، وكذلك الحال بالنسبة لمراكز الحضارة القديمة في كل من العراق ومصر اللذين قد توقفت فيهما شعلة الفكر الجغرافي منذ ان سيطرة القوى الخارجية عليهما فانطمرت العلوم الجغرافية وفقدت اهميتها في جميع جوانبها وقد استوى في ذلك الفلك وعلم الارض. وعندما بدأت شعلة الحضارة العربية تضيء من جديد بقوة الاسلام وعمق الفكر العربي تفتحت من جديد افاق الفكر الجغرافي العربي، فمنذ بداية الفترة الاسلامية وحتى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ 1258م وجه العرب اهتمامهم نحو العلوم كافة والجغرافية خاصة، فقد صرفت جهود كبيرة ومتزايدة للدراسة الفكر الجغرافي العربي، وجاء نتيجة للأصالة والحيوية والنزعة العلمية والعقلية الشمولية التي قامت عليها الحضارة العربية الاسلامية.

فأصالتها تمثلت في كونها وريثة للحضارة ما قبل الاسلام ، وحيوتها جاءت من مبتكراتها وابداعها الفني وشمولها تمثل في عدم اقتصرها على مدينة الاسلام بل تكونت منها ومن مدينة العرب قبل الاسلام ومن مقتبسات من حضارات الامم الاخرى في الشرق والغرب. اما نزعتها العلمية فقد جاءت

من حب العرب للعلم والمعرفة، فالعرب احبوا العلم وكرموا اهله وبذلوا في سبيله من راحتهم واموالهم، كما ان الدين الاسلامي قد دعم النزعة العلمية عند العرب وقواها فاقسم بالقلم كما في الآيات التي ذكرت العلم في القرآن الكريم كثيرة .



ولكل ذلك فقد بدأت بوادر النهضة العلمية منذ البدايات الاولى، ففي صدور الاسلام اهتم العرب بالعلوم الجغرافية فظهر المؤلفات الجغرافية وخاصة تلك التي ترتبط باللغة العربية.

واستمر جهود العرب في مختلف فروع الجغرافية وخاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الذي بلغت فيه معرفة الجغرافية اوجها في مجال التطور الاخلاق ويمكن متابعة تطور المعرفة الجغرافية في العصر الاسلامي من خلال تقسيمها الى المراحل الاتية :

1- المرحلة الاولى:

تبدأ هذه المرحلة منذ صدر الاسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري وقد تركزت البحوث الجغرافية في هذه المرحلة على جانبين:

أ- الاهتمام بالجغرافية شبه جزيرة العرب من حيث طبيعة الارض والمناخ والجوانب المرتبطة بالحياة الاقتصادية والبشرية ، وقد اتخذت المؤلفات الجغرافية في هذه المرحلة طابعا ادبيا اضافة الى الطابع الجغرافي، فقد عنيت بالأدب العربي والشعر الذي دُون في فترة ما قبل الاسلام.

ب- التهيئة للفتوحات الاسلامية، فقد اكدت كتابات في هذه المرحلة على طبيعة البلاد المجاورة وهي في مقدمتها العراق وبلاد الشام باعتبارها من البلدان التي ينوى فتحها من قبل المسلمون وكذلك الحال بالنسبة الى مصر وشمال افريقيا وقد جاءت المعلومات الجغرافية عن هذه البلاد عن طريق ارسال الوفد اليها.

ففي زمن الرسول (ص) حدثت رحلتان:

1- واحدة منها تنسب الى **تميم الداري** الى بلاد الشام .

2- الثانية الى **عبادة بن صامت** الى بلاد الروم .

واضافة الى ما شاررت اليه اخبار الرحلات والتي احتوت على بعض الجوانب الاسطورية، كان لحكايات ادب الحديث

المبكر والذي يعرف **بالفضائل** في توفير بعض المعلومات عن بلاد والشعوب المجاورة، وقد تركزت المعلومات في هذه المرحلة على **الاماكن المقدسة** كالمدينة وبيت المقدس والشام واليمن ومصر، وفي عصر الخلفاء الراشدين زاد اهتمامهم بالبلاد التي انعقد العزم على فتحها واستمرت اوصاف (الفضائل) تُكون مادة جغرافية يمكن ان نسميها **بداية للجغرافية الوصفية**، ومن هذه الاوصاف ما جاءنا عن المؤرخ **الدينوري** الذي اشار الى موضوع (**ابن القرية**) مع الحجاج والذي نسب اليه اعطاء اوصاف جغرافية لمعظم اقطار شبه الجزيرة والبلاد المجاورة.

وما دمننا قد ذكرنا الحجاج فلا بد من الاشارة الى ان **الحجاج بن يوسف الثقفي** اول من طالب بوضع **خارطة** وذلك عندما طلب من القائد (قتيبة بن مسلم الباهلي) ان يصنع له صورة لمدينة **بخارى**....

وفي **العهد الاموي** استمرت الرحلات بتقديم المادة الجغرافية عن البلاد المفتوحة والبلاد المجاورة وفي المقدمة ما يذكر عن العصر الاموي رسالة (**السمح بن مالك الخولاني**) والى الاندلس في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز والتي وصف فيها **بلاد الاندلس وانهارها**، وقد ابرزت المصادر العربية اهتمام السمع بن مالك بالأبحاث الجغرافية .

واهم ما يميز **الفكر الجغرافي في هذه المرحلة** هو:

1- جمع وتنظيم تصورات الفكر العربي قبل الاسلام عن الانواء وتدوين المادة المضخمة المتعلقة بالاماكن

- 2- ادخال نمط الفضائل في المؤلفات الجغرافية والتاريخية.
- 3- ظهور المصورات الجغرافية وبروز الجغرافية الوصفية وزيادة العناية بتنظيم المعلومات العملية.
- 4- بروز المخططات الخاصة بالطرق وتحديد مسافاتها.

وكانت التوجيهات الفلكية قد سارت على خطاها لفترة ما قبل الاسلام ومن **مؤلفات** هذه المرحلة في مجال الفكر الجغرافي :

- 1- (كتاب البلدان الكبير) و (كتاب البلدان الصغير) لهشام بن محمد الكلبي .
- 2- (كتاب الانواء) للنصر ابن شميل .
- 3- (كتاب اسماء جبال تهامة واماكنها) لعرام بن الاصبع .
- 4- (كتاب الامصار والبلدان) للجاحظ.

وقد اصبحت آراء هؤلاء المؤلفين تمثل مدرسة انطلقت منها الآراء الجغرافية التي تمثل روح المرحلة .

المرحلة الثانية :

كان للأوضاع السياسية التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية اثارها على الفكر الجغرافي، ففي هذه المرحلة التي تنحصر بين **منتصف القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري** كانت الدولة العربية الاسلامية تعيش عصرها الذهبي من حيث القوة السياسية والتقدم العلمي. وكان من

نتيجة ذلك ان انتقل الفكر الجغرافي الى مرحلة جديدة فرضتها الاوضاع السياسية، فتوطيد قوة الدولة في ساحات مترامية الاطراف من العالم القديم ساعد على ظهور ظروف جديدة كان لابد للفكر الجغرافي العربي ان يواكبها ويستفيد منها، وان يثبت جدارتها في ميدان الفكر العالمي، وعليه فقد برزت **بعض الخصائص التي تميز هذه المرحلة** والتي تتمثل في الاهتمام الكبير بالجوانب الآتية:

- 1- الاهتمام بالفكر الجغرافي الاجنبي وترجمته.
- 2- الاهتمام بعلم الفلك ودراسة الكون.

ففي مجال الاهتمام بالجانب الاول قد ترجمت اهم الكتب المرتبطة بعلم الفلك والجغرافية وفي مقدمتها كتاب **المجسطي لبطليموس** وقام بترجمته **الحجاج بن يوسف بن مطر** والذي انتهى من ترجمته سنة 837م كما قام بترجمته **مبادئ اقليدس** باستثناء الكتاب العاشر.

أما في مجال الفلك فإن الاهتمام به فاق الاهتمام بالجغرافية، فمنذ عهد المنصور العباسي ظهرت بوادر الاهتمام بالفلك والتنجيم، حتى ان المنصور استعان بالمنجمين لمعرفة الطالع لمعرفة موقع بناء موقع مدينة جديدة، والمنجمون هم أنفسهم فلكيون.

وفي وقته ترجمت رسالة في الفلك عن **اللغة الهندية** والتي عُرفت بـ **(كتاب السند هند)** و قام بترجمتها **الفزاري** و يعقوب

بن طارق، ولم يكن الفزاري مترجما فحسب بل فلكيا في نفس الوقت حيث ينسب اليه صنع الإسطرلاب.

اهم العلماء الذين قادوا الفكر الجغرافي العربي في هذه المرحلة هم:

- 1- الخوارزمي وكتابه (صورة الارض).
- 2- ابن الفقيه وكتابه (كتاب البلدان).
- 3- ابن رسته وكتابه (الاعلاق النفيسة).

للفائدة فقط: (((((محمد إبراهيم الفزاري هو عالم فلك، ولغوي، ورياضياتي، ومترجم، وفيلسوف، ولد في الكوفة، و توفي في بغداد. في عام 155هـ / 772 م. جاءت بعثة من الهند ومعها كتاب سدهانتا الذي يحتوي على معلومات ثمينة عن علم الهيئة. فطلب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من الفزاري أن يقوم على ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية وتصنيف كتاب على غرارهِ. ولم يكن الفزاري لينتظر هذا الطلب فقد عكف على ترجمته وأسماه كتاب السند هند الكبير . ولقد كان لهذا الكتاب تأثير عظيم في التصويرات الهندية لحركة الكواكب التي نتج عنها عمل الأرصاد العديدة في البلاد العربية والإسلامية، وهو ما جعل لترجمته مكانة كبيرة بين علماء الفلك من بعد الفزاري إذ أصبح المرجع الأساسي الذي استخدمه العلماء في علم الفلك إلى أيام الخليفة العباسي المأمون.)))))